جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م– الجزء الثالث

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

الحب في الحضارة البابلية

أ.د. هناء جواد عبدالسادة **أ.د. سعيد حسين علي**

جامعة بابل – العراق

الحب في الحضارة البابلية

أ.د. هناء جواد عبدالسادة **أ.د. سعيد حسين علي**

جامعة بابل – العراق

هدف البحث:

الكشف عن الابداع الفني الناجم عن (الحبَ) الذي يستدعي الخارق من الطاقة الكامنة في الذات العاشقة المتماهية في الاخر "الحبيب".

مشكلة البحث ورؤيته:

وقف البحث عند حقيقة الحضارة البابلية المنبثقة من عظمة آلهة الحب (عشتار) ودورها الكبير في الآثار الفنية الأدبية والمعمارية وتوصل ألى أن لغز (عشتار) في الحضارة البابلية يمثل الحياة بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والدينية وهي صورة للخلق والكون. ولأن الإنسان يعشق بحضارة، بأدب، هما حضارته وأدبه"– يقول رولان بارت فمنشئ قصيدة (الخلق البابلية):

(عندما في العلا) أو "الا يغوما أبليش" كما هو عنوان مقطعها الأول باللغة المسمارية.. وهي أول قصيدة تكرس (الحب) و(العشق) للخالق... إن يوجد الشاعر أو كاتب النص، جميع الآلهة، بنموذجه المحبوب، البطل، نتيجة هذه العاطفة.. لأنه رمز محمول العشق.. لأن (جميع الآلهة، هم خلاصة أبهته !.. لذا أظهره، الإله الوحيد فوق تعدد العبادات: وهو إله / البطل/ مردوخ" وأظهر إلى جانبه "عشتار"، وهذا الشكل يجسد الازدواجية والتماهي بين طرفي ثنائية (العاشق/ المعشوق) فهو البداية الأولى للديانات في الشرق الأدنى.

إن مشكلة البحث تتجسد بـ"تماهي الذات المحبة بالمحبوب" لدرجة عدم القدرة على الفصل بينهما فهما نوعٌ من إزدواجية القطبين، العميقة "الأنثى/ الذكر" وكذلك الحب الحضاري الذي جسدته النقوش البابلية بين البطلين "جلجامش وانكيدو".

تلك مشكلة البحث "التماهي في المحبوب" و"الصراع بين الأمل واليأس" من أجل الخلود وفي الجانبين يبرز أثر الحب في بناء الذات المبدعة التي استطاعت بقوة الارادة وادراكها لحقيقة الوجود ان نقض على اليأس الذي يطفو على سطح النصوص الادبية في الاسطورة البابلية ويثبت الأمل المنبثق من الداخل الى الجوف العميق ليعزز جذوره في عمق التاريخ.

لقد توصل البحث الى أن النصوص الأدبية التي وصلتنا غالبا ما تتبع من الواقع الحضاري الذي يرتقي بالذأت المبدعة لتنتج ما هو معبر عن الخلود الأبدي في العمل الصالح الذي يخدم المجتمع المتحضر.. لذا كان الحب للآلهة وتقديسها وإطاعتها وتنفيذ أوامرها والقاء الصفات المتعددة لها ما هي إلا دليل واضح على قدرة العقل على إدراك حقيقة الخلق والتكوين التي جسدها الفن الأدبي والمعماري على السواء.

وهكذا وقف البحث أمام مشكلة (الحب في الحضارة البابلية) وهو إذ ينحاز إلى موضوع (حب عشتار لتموز) وهو ما يدل عليه واقع النصوص الادبية التي وصلت الينا من خلال أسطورة إنانا في الحضارة البابلية التي تخلت عن كل الرجال وكل الصفات من أجل العيش مع الرجل الذي أحبته وتفيض بحضوره دون سواه، كل الحواس بالأمل والسعادة.

منهج البحث:

إن ما اتبعه هذا البحث هو طريقة تحليلية انبثقت من منهج متكامل، فإن كان المنهج يوصف بأنه: (خطة معقولة لمعالجة المشكلة وحلها عن طريق استخدام المبادئ العلمية المبنية على الموضوعية والإدراك السليم، لا البداهة والتخمين)[١] فإن التحليل النصي هو الطريق الذي يوصلنا الى الحقيقة باعتماد مبدأ المحاورة (لأن العمل الأدبي هو نتاج مكتوب للفكر لن يكون له وجود واقعي إلا حين يقرأ بالفعل).[٢]

ومادام المنهج هو الطريق الموصل إلى الحقيقة، والحقيقة هي ما يتحقق والتحقق شئ لايمكن إنجازه إلا بالصراع وهو مفتاح باب الفعل والفعل هو بداية الوصول للغاية، لذا جاءت الأساطير البابلية مفعمة بالأحداث التي تجسد الصراع من أجل البقاء والصراع بين الخير والشر، تلك الثنائية التي تجسد حقيقة الذات البشرية التي تبحث عن الخلود، لذا كان التماهي في المحبوب هو السبيل للخلود وهذا ما سيكشفه البحث من خلال النصوص الادبية التي جسدتها الأساطير والملاحم في وادي الرافدين في شخصية الهة الحب والجمال عشتار والعلاقة الحميمية بين جلجامش وصديقة أنكيدو من جهة واللعنة التي حلت بهما بسبب إهانتهم لآلهة الحب والجمال (عشتار)، وكذلك اسطورة حب إنانا لتموز واثره في ازدهار الارض وبث السعادة في النفوس بعد الزواج المقدس.

---

(١) أصول البحث الادبي ومناهجه: السيد تقي الدين، دار نهضة مصر ١٩٨٤ م: ص١٤٦.

(٢) ما هو الأدب: جان بول سارتر، دار الأدب، بيروت ١٩٥٥م:ص ١٢.

إن ملحمة جلجامش ماهي الاصورة لواقع الذات الإنسانية التي تقع في الخطيئة ثم تبحث عن وسائل التكفير! ولو حللنا بعض النصوص الادبية التي تؤكد وقوع جلجامش وانكيدو في الخطيئة والتي اوصلت الثاني الى الموت أما الأول فحاول الوصول إلى التكفير عن الخطيئة وكسب رضاء الآلهة والحصول على نبته الخلود لكنه في النهاية فشل فشلا ذريعا وأيقن أن الخلود للآلهة فقط وان الإنسان يخلد بعمله وحسن تصرفه مع الآلهة وإن ما فعله هو وصديقه أانكيدو بحق عشتار ماهو إلا خطيئة كبيرة لايمكن التكفير عنها إلا بالموت الأبدي.

إن القراءة المتأنية لنصوص ملحمة جلجامش الأدبية توصل القارئ الى حقيقة كونية لايمكن تغافلها فهي اللعنة الإلهية المنبثقة من خطيئة جلجامش وأنكيدو بحق آلهة الحب والجمال عشتار، ومن خلال قراءتنا للنصوص الأدبية التي تضمنت تلك اللعنة الآلهية لهما– أي جلجامش وأنكيدو – وتكرار القراءة مرة بعد أخرى تمكنا من عقد الألفة بيننا وبين تلك النصوص. وبدأ خيط ذهبي يضيئ لنا الدرب وسط هذا الركام من الفن البابلي الذي يؤكد قدرة الإنسان في تلك العصور على الإبداع الفني في كل المجالات لاسيما الأدبية أن هذا الخيط أوصلنا إلى مفهوم كلي لمجمل هذا العمل، وبادرنا بالإمساك بأطراف هذا الخيط الجميل البراق الذي قادنا إلى عالمه، وكانت به الخطوة الأولى وهي أول تحقيق قرائي اكتسبه في هذه المغامرة المضنية، وبرزت لنا (عشتار) بأبهى صورة للمرأة التي أعجبت بقوة جلجامش وعرضت نفسها عليه ليتزوجها ولكنه رفض بكل وقاحة وقال بحقها كلمات اغضبتها ومن هنا دخل جلجامش وصديقه أنكيدو الدائرة المغلقة – الانتقام – والثأر لكرامتها وحلت اللعنة الإلهية بحقهما.

برزت المرأة (عشتار) في هذه الخطوة كأقوى الأضواء إشعاعا إذ وجدناها تحتل مكانه خطيرة في تلك النصوص، فهي عذاب، وحقد أي إنها مركز المحنة والابتلاء بعد ما كانت مصدر الحب والعطاء.

إن التحول لم يكن من فراغ بل كان انتقام لكرامة الهة الحب والجمال (عشتار) بعدما اهانها جلجامش وتجاهل مشاعرها الصادقة واعجابها المتناهي ببطولاته وشجاعته وقوته الجسدية التي هز بها اقوى الرجال والوحوش.

كيف يجرأ جلجامش على ردها واهانتها وهي رمز الخصوبة والامومة وهي الام والاخت والحبيبة والزوجة وقد وصفها السواح في كتابه لغز عشتار بأوصاف وخصائص ووظائف وطقوس عديدة فهي "ربة الحياة وخصب الطبيعة، وهي الهلاك والدمار وربة الحرب، في الليل عاشقة، وفي النهار مقاتلة، ترعى المواقع وتفش المذابح. هي الام الروؤم الجاثية، راعية الحوامل والمرضعات،

الحاضرة أبداً قرب سرير الميلاد، وهي البوابة المظلمة الفاغرة لالتهام جثث البشر، هي ربة الجنس وسرير اللذة، وهي من يسلب الرجال ذكورتهم ويحنو تحت قدميها الابطال، هي القمر المنير وهي كوكب الزهرة، هي النور ورمزها الشعلة الابدية، وهي العتم والظلمة وما يخفى. هي القاتلة، وهي الشافية وهي العذراء الابدية، وهي الأم المنجية، هي البتول وهي البغي المقدسة، هي ربة الحكمة وهي سيدة الجنون، هي الاشراق بالعرفان وهي غيبوبة الحواس وسيادتها، والتقت عندها المتناقضات وتصالحت المتنافرات[١]هذه هي عشتار التي أهانها جلجامش، ماذا ينتظر منها؟! بل ماهو مصيره بعد تلك الخطيئة التي وقع في دائرتها ؟ إنها الدائرة التي أوصلته إلى القدر المحتوم – الموت –.

إن غضب آلهة الحب والجمال كان قويا يجسد تلك المتناقضات والمتنافرات في ذاتها التي أحبت القوة في الرجل في إطار ثنائية (الأُنثى/ الذكر) ربما فهاجت غضبا وطلبت من والدها "أنو" الانتقام، فخلق "أنو" ثورا سماويا ضخما ليقتل جلجامش الطائش. وقد صرع أنكيدو هذا الحيوان. فصعدت عشتار الى سور اوروك واخذت تنوح، وقد قطع أنكيدو أعضاء الثور وألقى برأسه إلى عشتار وشتمها.... ثم دخلت الرفيقات إلى القصر. وفي الليل رأى انكيدو حلما، وقد رآه لجلجامش في اللوحة السابعة إذ قال:[٢]

"اصغ إلى الحلم الذي حلمت هذه الليلة.

كان هناك اجتماع بين الآلهة أنو وأنليل وأيا وشمش

وتوجه " أنو " إلى أنليل بالكلام قائلا

ماداما قتلا الثور السماوي فليضربا ويموتا

وردد أنليل: يجب ان يموت أنكيدو، يجب ان يموت جلجامش

هذه العبارة في غاية الأهمية.

فتوجه الإله شمس، إله السماء، إلى الليل متسائلا

هذان البطلان الجباران، الم يقتلا الثور السماوي وخمبابا بناء على امرك

---

(١) لغز عشتار: فراس السراج، دمشق ١٩٩٣م: ص٢٧.

(٢) المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية: جورج بوييه شمار، ترجمة: سليم الصويص: ص ٣٦٧.

فيصرخ انليل بغضب: ياالله الشمس، يا اله السماء، يجب ان يموت انكيدو

وكما قرر انليل مات انكيدو.

ولو وقفنا عند هذا النص وقفة تأملية لوجدنا حجم الرعب والخوف من القادم الذي دب في نفس انكيدو اولاً ثم تسرب الى ذات جلجامش، فلم يكن حلمٌ فحسب بل هو قرار محكمة كونية عن خطيئة لا يمكن التكفير عنها... ولكن اللافت للنظر أن قرار المحكمة الكونية في التنفيذ وقع على أنكيدو فقط – وكما قرر انليل مات أنكيدو – والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا العقاب وقع على أنكيدو فقط. بينما شارك الرفيقان في قتل الثور السماوي؟

وللاجابة عن هذا السؤال يجب علينا ان ننطلق من الداخل – الذات المحبة – إلى الخارج – العدو – في إطار مفهوم " الحب الكاره"، فقد شغل هذا السؤال العلماء المختصون وقد أجابوا عنه اجابات في حين نبقى نحن مع اجابتنا الخاصة المنبثقة من الذات في اطار "الحب الكاره".

يرى جورج بوبيه شمار قصة المعركة التي دارت بين (خمبابا) من جهة وجلجامش وأنكيدو من جهة أُخرى فيقول (وهناك نص يلقي ضوءا دقيقا على هذه المسألة، فخلال المعركة مع "خمبابا" جاءت ريح الشمال وريح الجنوب والعاصفة لمساعدة جلجامش وانكيدو... "وانظر كيف ثارت على خمبابا أعاصير رهيبة فلم يستطيع خمبابا أن يتقدم أو أن يتراجع، فاستسلم".

ولئن كان النص الاشوري يقدم لنا خلاصة المعركة فإن النص يؤكد أن أنكيدو أغاظ جلجامش وذلك بما أظهره من قسوة:

قال خمبابا لجلجامش ايه جلجامش انقذني

أنت سيدي وسأظل عبدك

انس تهديداتي لك

فقال أنكيدو لجلجامش

مهما يقل خمبابا فلا تصغ اليه

فقطعا رأس خمبابا

فهل يتحمل أنكيدو المسؤولية الكبرى في موت خمبابا، فقد أظهر جلجامش رحمة بعدوه المهزوم، انكيدو هو الذي حرضه ودفعه على القسوة وعلى حرمانه من الرأفه والرحمه"[1].

وهذا النص يتطلب منا معالجة قضيتين أساسيتين هما:

١- الحلم والحكم وتنفيذ الحكم الالهي بحق انكيدو.
٢- الرحمة والرأفة في قلب جلجامش اتجاه خمبابا.

ولو عالجنا القضية الاولى بموضوعية وطرحنا سؤالاً مهماً على ذاتنا المتطلعة إلى معرفة الحقيقة هل شاهد أنكيدو الحلم بعد مقتل خمبابا أم بعد مقتل الثور السماوي؟ وهل تنفيذ الحكم بحق أنكيدو لوحده جاء بعد مقتل خمبابا أم بعد مقتل الثور السماوي؟ الحقيقة التي لم يتوصل إليها أحد الباحثين تكمن فيما يأتي:

١- إن إهانة الآلهة عشتار وتجاهل مشاعرها قبل خلق الثور السماوي هو السبب المباشر في وقوع الحدث – اللعنة الالهية –.
٢- قتل الثور السماوي ورمى فخذه بوجه الآلهة عشتار زاد الطين بله فتحقق أمر التنفيذ – عقد المحكمة –.
٣- ما يؤكد على صحة ما ذهبنا اليه هو انكيدو شاهد الحلم في نفس الليلة التي قتل بها الثور السماوي وهذا ما اشار اليه النص السابق.
٤- يجب ان يحصر الموقف في مقتل الثور السماوي بعيدا عن مقتل خمبابا.

اما ما يخص القضية الثانية فهو يكمن في ذات جلجامش المتحضره اكثر من انكيدو الذي تربى مع الوحوش، لذا يمكن أن نقف عند الرحمة من جانب ديني فهي تطيل العمر وتعطي للانسان طاقة ايجابية يمكن أن تقبل أربعة آلاف طاقة سلبية كان يكتسبها جلجامش من رفيقه أنكيدو، ولكن القوة السلبية انتصرت هنا فسمع جلجامش كلام انكيدو وقتل خمبابا، ولكن لوجود الرحمة في ذاته كطاقة ايجابية تأخر تنفيذ القرار – موت جلجامش – وهذا ما يؤكده الدين الاسلامي الحنيف الرحمة تطيل من عمر الانسان وتدفع عنه البلاء.

قال تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) التوبة/ ١٢٨، وقيل: إن الله تعالى: هو رحمن الدنيا، ورحيم الاخرة، وذلك أن إحسانه في الدنيا يضم المؤمنين والكافرين، وفي الاخرة يختص

---

[1] المصدر نفسه ص ٣٦٨-٣٦٩.

بالمؤمنين، وعلى هذا قال عز وجل (ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون) الأعراف/١٥٦ تنبيها أنها في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين، وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين فقط.

وعودة على ذي بداء هل كان سبب حكم الالهة على انكيدو بالموت يعود لقتله لخمبابا ام للثور السماوي؟ وإن كان بسبب الأول لماذا شاهد الحلم في الليلة ذاتها التي قتل فيها الثور السماوي؟ وما علاقة غضب عشتار بالمحكمة وتنفيذ الحكم ؟ ولماذا وقع الحكم بحق انكيدو لوحده دون جلجامش كل تلك التساؤلات لها إجابة واحدة شافية كافية تكمن في قضية حب عشتار واعجابها الكبير ببطولة وشجاعة جلجامش أوصلها الى الاهانة والتحقير امام انكيدو، وما كانت ثورتها الاتعبيرا عن حقيقة التكوين البشري للانثى كيف وهي الهة الحب والجمال وبنت الالهة "أنو" وما تتمتع به من صفات لم تتمتع بها أية آلهة في الحضارة البابلية كل ذلك وغيره كثير لم يلق استحسان عند جلجامش المتغطرس لذا جاء دور (الحب الكاره) ليأخذ دوره في الانتقام. وبما ان الحب بالمعنى الوجودي هو امتصاص الذات للغير وافتاؤها له داخلها"[١]والدافع اليه تملك الآخرين كأداة لتحقيق الممكن المرغوب مع جلجامش ولكن الضربة التي وجهها جلجامش لعشتار الحب والجمال كانت قاسية فتحول الحب إلى كراهية وانتقام لأن الذات في محاولتها اغناء نفسها لابد ان تصطدم بما لايريد الدخول في حوزتها من الاشياء أو الذوات الغيرية، مما يولد عندها الشعور بالكراهية نحو هذا الخير النافر المتأبي، فالكراهية اذن طابع ضروري للوجود، وتبلغ أوجها حين يلقى الحب أشد إباء، ذلك يكون عندما يبلغ الحب هو الاخر أوجه، ولذا فان النقطة العليا لاعلى حب هي بعينها النقطة التي فيها أشد كراهية فهنا القمة مشتركة بين النقطتين او الضدين،[٢] لذا تحول حب عشتار لجلجامش الى كراهية، لذا حاولت ان تنتقم منه ومن صاحبه انكيدو لأن الإهانة وقعت أمامه فجاء دور الثور السماوي ولكن التمادي في إهانة الآلهة عشتار وأبـوها آلهة (أنو) كان هذه المرة اقوى قتلا الثور السماوي ورمي أنكيدو فخذه بوجهها أية إهانة أكبر من هذه ؟ أي استهتار بهذا الحب الالهي المقدس؟! لابد من العقاب هذه المرة.. لابد من الانتقام، ولكن هل هذا يحقق السعادة للالهة عشتار؟ هل موت جلجامش يسعدها ويطفئ نار قلبها المحب الولهان بالطبع "لا" فقد كانت تتذكر ما يقوله جلجامش بحقها:

انشدوا عشتار، إجل الالهات

---

(١) ينظر: الزمان الوجودي ص١٦٤.

(٢) نفس المصدر ص ١٦٨.

هي التي كلها فرح، انها مفعمة بالحب

مليئة بالاغراء والمفاتن والمتعة

عشتار التي كلها فرح، مفعمة بالحب

لشفتيها حلاوة العسل، فمها هو الحياة

اذن كانت عشتار لها مكانه كبيرة في ذات جلجامش فهي:

١- الحب ←— الجمال = الخير (أجل الالهات) —→ جمال الروح

٢- مفعمة بالحب ←— مليئة بالاغراء والمفاتن = متعة —→ جمال الجسد

٣- سعادة ←— فرح = حياة —→ (مزج بين جمال الروح والجسد)

اليوم تحول هذا الحب إلى كراهية يقابله الانتقام وهو " السرور المؤلم " فلا يمكن أن تفرح عشتار بموت جلجامش لذأ وقع الحكم على أنكيدو لوحده بعدما تدخلت قضية مقتل خمبابا مع مقتل الثور السماوي وفي الحقيقة هما قضيتين منفصلتين عن بعضهما ولكن الحب الكاره أثر على القرار لتحقيق السرور المؤلم... وهذه هي حقيقة حكم الآلهة على انكيدو وامهال موت جلجامش اكراماً للحب الكاره – عشتار –.

ومن هنا تصبح علاقة جلجامش مع عشتار تمثلا أدبيا لقصة الحب المؤلم في اطار ثنائية أدبية اولية هي: " قمة الحب/ قمة الكراهية" وهي ثنائية محكومة بكل صفات العلاقة الاولى: " حب واعجاب/ حب واستخفاف ".

حب واعجاب ←— عشتار —→ انتقام

حب واستخفاف ←— جلجامش —→ احتقار

اصبحت العلاقة بين جلجامش وعشتار بعد مقتل الثور السماوي علاقة تحكمها مركزية محورية خطرة، فهو يحمل نذيرا يخوفه منها، ولكنها تحمل له السرور المؤلم الذي يشفع له فيكون موت انكيدو قبله وتترك له فرصه للعيش بعيدا عن التغطرس والقتل فينشغل بالبحث عن عشبة الخلود وقد حصل عليها بعد عناء طويل فقد اودعتها لديه " اوتونا بشتم " ولكن الافعى ابتلعتها

وهو يستحم في بئر ماء عميق بعد عودته من رحلة شاقة ولعنة الالهة عشتار تلاحقه اينما ذهب لذا لم يستطع نيل الخلود ومن هنا كان عقاب جلجامش مثلما كان عقاب انكيدو من قبله

(الموت) وهذا العقاب يتناسب مع الخطيئة القصدية، اذ كانا يتحديا الالوهية.

وهنا نجد انفسنا في مواجهة تامه مع النموذج، جلجلمش/ الالهة عشتار/ الثور السماوي.

ومن وراء الثور السماوي كان انكيدوا يدفع جلجامش بالخطيئة والاثم. وبذلك يحتكم الوثاق حول جلجامش الذي منَى نفسه بالخلود عندما يحصل على نبتة البقاء، لكنه يواجه بقوى ظن أنه يقوى على مواجهتها ولكنه ينهار أمامها ويستسلم لها، وتنتصر القوى الالهية " عشتار " وتلك كانت حلقات النموذج.

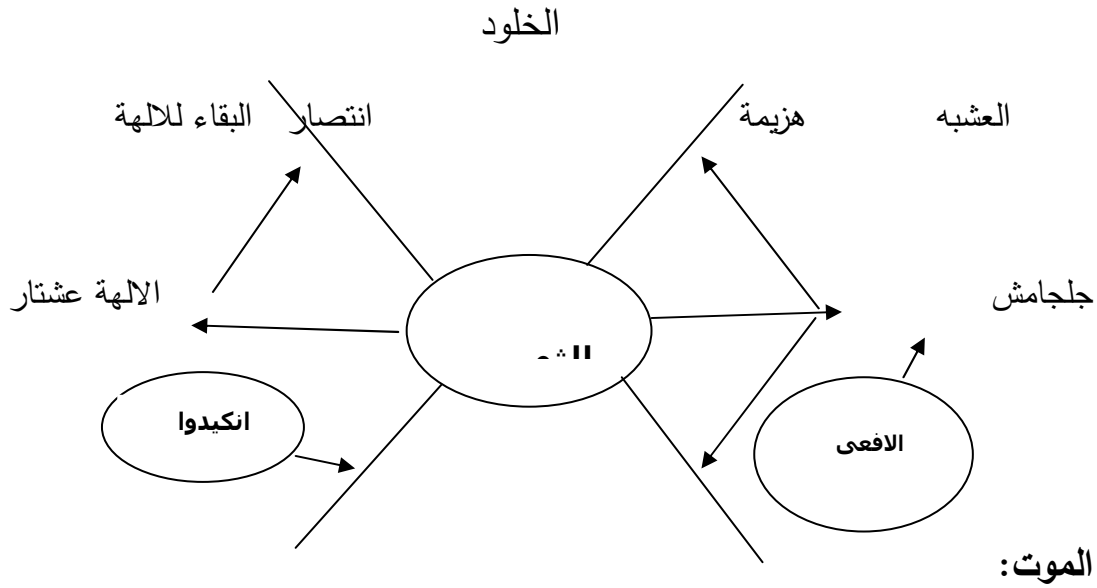

الموت:

وهو نموذج تتحرك نحوه نصوص ادب ملحمة جلجامش لتشكل به نوذجها الاعـــلى وهو (النص الاسطوري للحب البابلي التام)

" ايه يا اورسنابي، هذه النبته نبته مشهورة

بفضلها يحظى الانسان بنفحة الحياة

ساحملها الى اسوار مدينة اوروك

ساكلها.....

اسمها " الشيخ الذي عاد شابا "

ساكلها وساعود شابا.

ولكن هل تحقق هذا بعد حصوله على نبتة الخلود ؟ بالطبع كلا لان لعنة الالهة تلاحقه اينما ذهب، وان الخطيئة القصدية يجب ان يعاقب مرتكبها مهما تغطرس ومهما تمكن

في الارض من قوة وشجاعة، لكن ناموس الكون مبني على اساس القانون العادل وتنفيذ القصاص بحق كل من يخرق ذلك القانون الالهي.. وهكذا كان مصير جلجامش الاسطورة التي خلدها الادب عبر العصور وهي شخصية حقيقية كما يرى "ساندرز" لها صنعتها الواقعية، اثبتتها آثار ووثائق خاصة ببلاد ما بين النهرين، هو الملك الخامس في قائمة ملوك أوروك، الواردة اسمائهم في قائمة الملوك السومريين، ظهر بعد الطوفان، امتدت مدة حكمه الطويلة ما يقارب مائة وعشرين عاماً[١]وظهرت حوله اساطير كثيرة منها:

(كلكامش والعالم السفلي) و(كلكلمش وأرض الحياة) و(كلكامش والثور السماوي) و(كلكامش وآجا) بالاضافة الى اسطورة (الطوفان) وكل ما يهمنا في هذا البحث كان منصبا على نصوص ادبية ظهرت في اسطورة (كلكامش والثور السماوي) لتوضح ما جاء في الانموذج السداسي الذي جسد ناموس الكون بعد فوز القوة الالهية الموجودة في الانموذج السابع ولكن لم تدخل رقميا في الانموذج لانها محرك قوى الانموذج السداسي (عشتار آلهة الحب والجمال).

" حب إنانا/ دوموزي " " حب عشتار/ تموز "

هناك تلازم بين بناء الحضارة والحب في اغلب اساطير وادي الرافدين فقد اشارت النقوش والرموز على الابنية على اهمية الحب في حياة الانسان، اذ يلعب الحب دورا مهما في بناء الذات المبدعة لان الابداع يحتاج الى الخارق من الطاقات واذا تماهى الحبيب بالاخر يصل الى اثبات الذات التي تصل به الى الخارق – بناء الحضارة –.

إن حب إنانا لتموز كان حب افناء المعشوق في الذات لدرجة التماهي ومهما اختلفت الروايات في حقيقة تلك القصة العشقيه بين آله الحب والجمال والشاب الوسيم تموز فان النصوص

---

[١] ينظر: ملحمة كلكامش، شاندرز، ترجمة محمد نبيل نوفل – فاروق حافظ القاضي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥، ص ٢١.

التي وصلتنا تشير الى التماهي بالاخر الذي حقق اثبات الذات وتخليها عن كل الماديات لعودة المحبوب الى العالم مرة اخرى.

وقبل الوقوف عند اسطورة (إنانا وتموز) لابد من الاشارة الى ما يأتي:

١- إنانا عند السومريين هي نفسها عشتار عند البابليين ومدلول اسمها في السمومرية (سيدةُ السماء)[١]أما في البابلية فمعناه (عيش الارض)[٢]لذا سنعتمد على التسمية البابلية " عشتار آلهة الحب والجمال ".

٢- دوموزي عند السومريين هو نفسه تموز عند البابليين ومدلول اسمه في الحضارتين (الابن الحق) أو (الابن الحق للمياه العميقة) وقد يعني الابن الصالح أو البار وذكر اسمه في كتابات قديمه تعود الى زمن سلالة لكش الاولى في حدود ٢٥٠٠ق.م[٣]كان حبيبا لعشتار آلة الحب والجمال ثم زوجاً لها بعدما قدمت التضحيات الكبرى من اجله...

٣- ان النصوص الادبية في الاساطير البابلية تشير الى صدق الحب وعميق العلاقة بين تموز وعشتار. اذ اثبتت الهة الحب والجمال للمرأة حقيقة ذاتها، فاذا أحبت اخلصت لذلك الحب لدرجة الفناء من اجله ويرى بول فريشاور ان إنانا منحت قبل اقترانها بتموز، جسدها الشهواني، العطش أبداً، جميع الذكور الاحياء فوق الارض. اما الان فإنها لم تعد راغبه إلا في الرجل الوحيد الذي عرفت الحب في احضانه. هذا الاحساس الجديد عليها، بالامتلاء وبالكمال السعيد لانها الخاص، لا يمنح إلا للرجل والمرأة اللذين لم يخلق أحدهما إلا للاخر[٤] وهذا يشير الى السعادة الحقيقية في الحياة الزوجية لان الرجل وجد نصفه الذي فقده منذ الخليقة الاولى ويبقى يبحث عنه حتى يجده فإن وجده عاش في سعادة وهناء.

إن ماتقدم يشير الى حقيقة واحدة نريد اثباتها في هذا البحث وهي العلاقة الوثيقة بين الحب وبناء الحضارة بيد المبدعين بفضل الطاقات الهائلة التي يحصلون عليها من التماهي في الآخر قادرة على صنع المعجزات الخلابة في البناء المعماري والنقوش الخالدة الى يومنا الحاضر...

إن العلم اليوم أثبت كثير من تلك الحقائق فالطاقة الايجابية التي يحصل عليها الإنسان من المعانقات وتبادل الحواس والعواطف الصادقة وعدم الكذب والإخلاص والوفاء لبعضهما كل ذلك

---

(١) الحضارة السامية القديمة: سسينو موسكاتي، ترجمة يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت ص ٢٥٦

(٢) لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين الاسطوري: فراس السواح، ط١، دار علاء الدين، سوريا، ١٩٨٥ ص٢٧

(٣) ينظر: سومر اسطورة وملحمة، فاضل عبد الواحد علي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٧ ص١١٠

(٤) الجنس في العالم القديم: بول فريشاور، ترجمة فائق دحدوح، دار نينوى، الشام، ط١: ١٩٩٩ ص٦٦.

وغيره كثيره له تأثير مباشر على مضاعفة الطاقة الإيجابية وطاقة إيجابية واحدة تقضى على أربعة آلاف طاقة سلبية.. وهكذا كانت عشتار في علاقتها العاطفية مع تموز الذي ضحت بكل شيء من أجله، فهو الرجل الوحيد الذي يستحق التضحية لأنه أحبها بصدق وإخلاص.

(هذا الاشتهاء للواحد المفرد جعل من الإلاهة (التي تفتح أرحام النساء) مثالاً تحتذيه جميع النساء. فليس بكاف أن تشبع لذة الإتحاد الجسدي الحواس فقط بل عليها أن تروي القلب أيضاً. إن العديد من المعانقات لاتعادل عناقاً واحداً يتوّجه الحب ويرعاه.

إن الرغبة في امتلاك الرجل هي وحدها صاحبة الشأن، ذلك الرجل الذي تفيض بحضوره، دون سواه، كل الحواس بالأمل والرجاء، هذا الرجل الحبيب أغلى من جميع رجال الأرض مجتمعون، والسعادة، كل السعادة هي في البحث عنه والفوز به والاستسلام له)[١].

ومن هنا كان (الواحد/ الثابت) هو أساس الحياة السعيدة لأن التمسك بالواحد وتمكن الحب من الذات وثبات العاطفة رغم الصعاب هو الطريق الأصوب في تحقيق الأمل المنشود وتكون الإنطلاقة الصائبة للذات على التجاوز المستمر لذاتها في تحقيق المرغوب الممكن بوساطة الإرادة فكلما امتلك الإنسان إرادة قوية منبثقة من الحب الصادق استطاع أن يبني أعظم الحضارات وتكون قدرته على الابداع كبيرة جداً بحجم الطاقة الهائلة التي تملىء كيانه بفضل الحب.

إن حب أنانا/ عشتار لتموز يرسم صورة المرأة القادرة على إعطاء الآخر (الحبيب) كل شئ من أجل الخلود فلم تكن عشتار إمرأة بل كانت كل النساء فهي آلهة الحب والجمال التي بيدها كل النواميس الإلهية التي حصلت عليها بقوة الإرادة وحسن النية والإدراك ونعرض هنا قصة حصول إنانا على النواميس المقدسة من (أنكي) أذ كانت الآلهة إنانا حامية (الأوروك) وارادت أن تشهر اسمها ومنزلتها في المدينة، فقررت الذهاب الى أريدو الموطن القديم للحضارة السومرية حيث يعيش (أنكي) رب الحكمة في احضان (آبو) الذي يستحوذ على جميع النواميس وأرادت إنانا أن تنزعها منه بأي ثمن كان، وإذا ما افلحت فان سلطة اوروك وعظمتها تكونان منقطعتي النظير.. وعندما اقتربت من (آبو) رأها (أنكي) فأسره سحرها وطلب الى مرافقه (السيمود) أن يعد لها وليمة، وقال له:

" تعال يايسمود، واصغ الى أوامري.

---

[١] المصدر نفسه ص٦٦.

أريد أن أقول لك كلاماً، فأسمعه

إن الفتاة الوحيدة حملت خطاها صوت (أبز)

أينانا تسير وحيدة صوب أيزو

أدخل هذه الفتاة الى أيزو اريدو

واطعمهما حلوى مصنوعة من الشعير والزبدة

وأسكب لها الماء البارد الذي ينعش القلب

وأسقيها شراب (وجه/ لاسد)

عند المائدة المقدسة، مائدة السماء

ورحب بها باجمل كلمات الترحاب والإكرام "

وجلس (آنكي) مع (إنانا) على المائدة وانهمكا في الشرب وفي غمرة الفرح والنشوة قال لها:

(إلى إنانا أبنتي

أهدي النواميس المقدسة

بما لديَ من سلطة.)

يتحرك النص في اطار العطاء الذي هو سر سعادة الانسان ومصدر خلوده في الدارين، لأن الأخذ استدانه من الحياة على الأنسان رده في يوم من الايام...

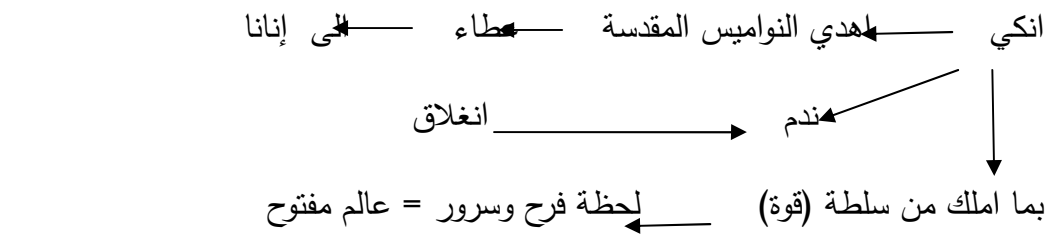

دخل انكي الدائرة المظلمة بعدما اهدى النواميس ومن هنا يبدأ الصراع بين طرفي ثنائية (العطاء/ الأخذ) وثنائية (الفرح/ الحزن) وثنائية (الفعل/ الندم عليه). وهل ينفع الندم ؟ فقد اخذت إنانا النواميس المقدسة المائة ووضعتها في القارب وعادت الى اوروك.. واللافت للنظر ان ندم

(انكي) لا يتوافق مع منزلته المقدسة فهو الآلهة التي تعطي ولا تندم على عطائها، لماذا ندم أذن وهو الذي اهداها الى إنانا في لحظة فرح وسرور، قد يعود السبب الى إحساسه بالخطيئة من جانبين هما:

١- ان هذه النواميس المئة المقدسة هي ليس ملك له وانما ملك للجميع.
٢- فان اللحظة التوافقية بين (إنانا/ انكي) كان لها الدور الكبير في تعطيل الارادة العقلية وتشغيل الارادة العاطفية التي تحركت بسبب سحر وجمال إنانا في كوامن الذات لدى (أنكي) الرجل لذا عندما افاق من ذلك ندم على فعلته وبدأ يبحث عن طريقة توصله للتكفير عن الخطيئة فارسل أيسمود ومجموعة من الممسوخين البحريين ليستعيدوا الشرائع المقدسة من إنانا..

والذي يؤكد ما ذهبنا اليه في النقطة الثانية قول جورج بوييه شمار "وعندما افاق انكي من سكره وجد إن الشرائع ليست في مكانها " وابلغه (ايسمود) انه اهداها الى إنانا بنفسه"[١]

والذي يهمنا هنا مكانة إنانا واخلاقياتها فقد تعجبت من موقف (انكي) التراجعي عندما استمعت لقول (ايسمود)

" ايه إنانا، لقد ارسلني ابوك اليك

أنكي السامي

الذي لايجوز ان ترفض اوامره.

وسألت إنانا ماهي اقول والدي ؟

" قال لي مليكي، قال لي انكي

دع إنانا تصل الى اوروك

واعد القارب السماوي الى اريكو "

فقالت له إنانا:

" ارجوك قل لي لماذا غير والدي قوله ؟

---

[١] المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية ص٣٤٠.

لماذا حنث بقوله لي ؟

لماذا انتهك كلامه السامي الذي وجهه إلي؟

لقد كذب اذا حين اقسم بقوته وقوة آبو "

النص يفصح عن تداعيات (الذات والاخر) بعد وقوع الخطيئة فإنانا تعرف لماذا جاء

(ايسمود) وماذا يريد منها، وماهي اقوال انكي، ولكن تجاهلت كل ذلك واطلقت مجموعة من التساؤلات التي عبرت عن قلقها وخوفها من الهزيمة، ولكن انتهت القصيدة بانتصارها ووصلت الى اوروك ومعها النواميس المقدسة.. بعدما تعجبت من تغير موقف الاخر (انكي) اللاخلاقي (لقد كذب) أي لم يصدق في قوله لان الصدقُ والكذبُ اصلهما في القول، ماضيا كان أو مستقبلا وعداً كان أو غيرهُ..

وكل ماتقدم يشير الى مكانة إنانا وحسن عقلها، وتدبيرها، قوة ادراكها وقوتها وقدرتها على تحقيق الممكن المرغوب الذي يحقق للذات لذة السعادة.

وعودة على ذي بدء اننا مع قصة الحب والتضحية التي جسدتها تلك الشخصية التي لم تهزه امام قوة (انكي) ولم تستسلم لقوة (ايسمود) والممسوخين ولم يستطع احد ان ينتزع منها النواميس المقدسة اليوم بمظهر لنا شخصية إنانا امام تموز بمظهر المحب الذي يضحي بكل شئ من اجل انقاذ محبوبه انها انموذج للحب الصادق الذي يكشف لنا عنه حقيقة الرقي الحضاري في اسطورة حب عشتار لتموز التي شرعت (بارتياد طريق الجحيم لتبعث في تموز الحياة لكي يعود إليها من جديد، بتحميمه في الينبوع المقدس. سمحت لها اريشكيغال بالدخول وقالت لها: (أنا أيضا أندب الرجال الذين انفصلوا عن زوجاتهم، وأنا أيضا أندب النساء اللواتي انتزعن من أحضان أزواجهن) وعلى الرغم من الشفقة التي عبرت عنها هذه الكلمات، لم تستطيع اريشكيغال إعفاء أختها من معاناة ذل العذاب (وفق ما جاء في الشرائع المقدسة) إذ بات على إنانا ان تلج، عارية، المملكة السفلى (العالم الأسفل)[١].

من هنا بدأت رحلة التنازل عن كل شئ من اجل شخص واحد، الرجل الوحيد على الارض (تموز) الذي احبته بقلبها وعقلها ووجدته في احضانه الدفء والحنان...

---

[١] الجنس في العالم القديم ص٦٧.

لقد ملئ الامل قلب إنانا، وهو نزوع انفعال مقترن بقوة الارادة في الوصول للهدف بعدما بلغ الانفعال العاطفي ذروته في الذات المحبة للآخر (إنانا/ تموز) فجاء القرار المعبر عن ذلك الحب النزول الى (العالم السفلي).

" نضر الحرس عن الإلاهة ثيابها وعراها. وجردها من حليها ونزع النقاب عن كاهلها. لكن جمال جسدها العاري أثار غيرة سيدة العالم الأسفل اريشكيغال. فأصدرت حكمها بسجن أختها إنانا في غرفة من غرف قصرها ليذبل جمالها وتُذْهب كل الامراض الممكنة بحسنها وبهائها: (مرض العيون على عينيها... ومرض الجوانب على خنبيها.. ومرض القلب على قلبها.. ومرض الأرجل على ساقيها.. ومرض الرأس من راسها..)[١]

وهذا النص يؤكد جانبين مهمين هما:-

الاول: اوامر اريشكيغال ضد عشتار مادياً ←التخلي عن الحلي والملابس.

الثاني: اوامر اريشكيغال ضد عشتار جسدياً " السجن + المرض ".

وهذا يشير ان العذاب الروحي كان مضاعف، لماذا ؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال علينا ان نرى ردة فعل عشتار هل تتحمل كل هذا العقاب ؟ هل عذاب فراق الحبيب اقوى من هذا العذاب؟ فاذا كانت الاجابة بنعم على عشتار ان تتحمل عذاب اريشكيغال من اجل احياء تموز مرة اخرى للحياة والرجوع معاً من اجل الحب والجمال من اجل الخصوبة واحياء الارض من اجل الفرح والسرور.

(اذعنت إنانا، بدافع حبها لتموز، راضية بجميع هذه الأوجاع والآلام.. بيد ان هذه المصائب لم تنزل بها وحدها، إذ توقفت كل مظاهر الحياة فوق الارض فامتنع الإنسان والحيوان عن التزاوج والاقتران: (وما من رجل يطارد الفتيات... والنساء يضطجعن وحيدات.. وكل الافراح الجنسية انطفأت..).[٢]

---

[١] ن. م ص٦٧.

[٢] ن. م والصفحة.

هكذا هي الحياة اذا أختفى الحب.. ليس هناك سعادة او فرح كيف فعلت اريشكيغال هذا بأختها إنانا ؟ ولماذا.. وهذا ما اريدنا الاجابة عنه في السؤال السابق لماذا اضاعقت اريشكيغال العقاب على إنانا – العذاب الجسدي –؟

إن السبب المباشر في ذلك هو الغيرة القاتلة التي سيطرت على ذات اريشكيغال بعدما شاهدت جمال جسد إنانا اليانع بسبب الحب الذي يروي عروق قلبها. فحاولت اطفاء ذلك البريق بالسجن وتعدد الامراض، ولكن هذا الامر لم يكن يخص إنانا فقط بل اصاب كل شئ جميل في الحياة، لان مثلث الوجود هو (حب، خير، جمال) فكل خير جميل وليس كل جميل خير وكل حب جميل لان المحب يعمل من اجل اسعاد حبيبه ويقدم كل الخير له ولمن حوله وهذا كان دور إنانا قبل سجنها.

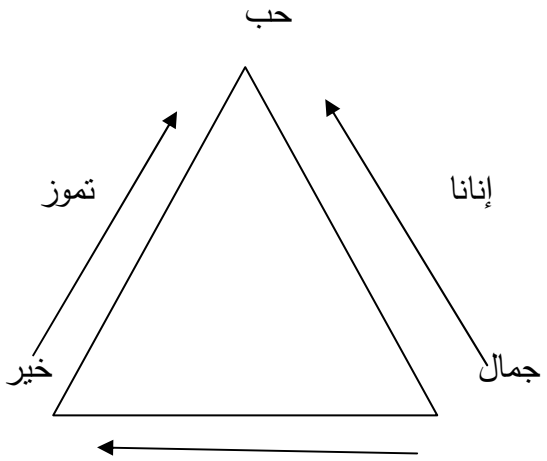

علم الآلهة بما يجري فغضب على اريشكيغال وامرها بفك سجن اختها إنانا ولكن العاشقة، المحبة، الوفيه لحبها (إنانا) أبت ان تغادر العالم الاسفل إن لم يبعث تموز مرة اخرى للحياة.. وكان لها كما شاءت.. (وما أن اتحد الزوجان إلالهيان، حتى شرعت الأرض بالفتح والازهرار واستعاد الإنسان والحيوان لذة التزاوج والجمال واستدركوا كما استدرك تموز وعشتار باندفاع لايكل ولايمل، كل ألوان الضم والاحتضان التي كانوا قد حرموا منها حتى ذلك الحين).[١]

إن تفتح المقدرات للذوات المحبة يكون كبيرة جدا وخاصة اذا أقترنت المحبة بالتطبيق عملياً، لان الامتلاء بشعور المحبة الخالية من المنافع الشخصية تفتح باب الباطن على مقدرات المعرفة

---

[١] ن. م ص ٦٨.

المسبقة والرؤيا الواضحة، لذا لم تكن محبة إنانا لتموز بدون تطبيق عملي لذلك الحب المثالي وهذا ما انعكس على ارض الواقع قبل الانبعاث وبعده من خلال ما يأتي:

١- ما اصاب تموز أصاب إنانا (النزول الى العالم السفلي).
٢- ما اصاب آلهة الحب والجمال إنانا من سجن وامراض أصاب الحياة.
٣- اختفاء السعادة في ذات إنانا اثر على اختفاء السعادة لدى كل الناس.
٤- عـــودة السعادة والفرح والبهجة للحياة وازدهار الارض بسبب عودة الحياة للحبيبين (إنانا/ تموز).

ولايفوتنا هنا توضيح قضية الاحتضان والضم والتقبيل ودورهم في المحبة عملياً وارتباطهم المباشر بقوة الطاقة الكامنة في الذات المبدعة، اذ اثبت العلم اليوم ان الطاقة الايجابية يمكن الحصول عليها من الاحتضان والضم والتقبيل وهي عوامل اساسية في البناء والعمران وتفتق الافكار قوة الارادة في تحقيق الممكن المرغوب لان الطاقة الايجابية تقضي على الطاقة السلبية التي تعطل المسيرة الابداعية.. وهكذا كانت الانطلاقة لبناء الحضارة البابلية بالمحبة وتطبيق المحبة عمليا..

وهذه بعض الترانيم التي جاءت على لسان تموز عند زواجه من إنانا

سيدة السماء العظيمة، أريد أن أحييك،

البركة الإلهية الآتية من السماء أريد أن أحييك

سيدة السماء العظيمة، إنانا، أريد أن أحييك،

النور المقدس الذي يملأ السماء، أريد أن أحيك،

إنانا الساطعة كالشمس، سيدة السماء العظيمة، أريد أن أحييك

أستند النص على ظاهرة التكرار فكانت بؤرة الاشعاع من خلالها عبر تموز عن مكنون الذات المحبة للآخر (إنانا) التي تستحق ان يقول بحقها اوصاف جاءت في نص ادبـــي ضم (٢٠٥) بيتاً شعرياً – ان حق لنا تسميته شعراً.

ان اشعاع البؤرة يتسع بصيغة تكرار الجملة (أريد أن أحييك) على التوالي لتعبر عن مكانة آلهة الحب والجمال وتمكنها من ذات المحب (تموز) إما تكرار اسم الحبيبة (إنانا) في المجموعة

الادبية فكان (٤٢) مرة مقترنة بلفظة (المقدسة) وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من تمكن الحب من ذات المحبوب لدرجة التماهي فهو يسعد بتكرار اسمها (إنانا) فيكون له اثر في الاذن وفي النفس.

المصادر والمراجع:

١- أصول البحث الادبي ومناهجه: السيد تقي الدين، دار نهضة مصر ١٩٨٤ م: ص١٤٦.
٢- ما هو الأدب: جان بول سارتر، دار الأدب، بيروت ١٩٥٥م:ص ١٢.
٣- لغز عشتار: فراس السراج، دمشق ١٩٩٣م: ص٢٧.
٤- المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية: جورج بوييه شمار، ترجمة: سليم الصويص: ص ٣٦٧.
٥- المصدر نفسه ص ٣٦٨-٣٦٩.
٦- ينظر: الزمان الوجودي ص١٦٤.
٧- نفس المصدر ص ١٦٨. ينظر: ملحمة كلكامش، شاندرز، ترجمة محمد نبيل نوفل – فاروق حافظ القاضي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥، ص ٢١.
٨- الحضارة السامية القديمة: سسينو موسكاني، ترجمة يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت ص ٢٥٦.
٩- لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين الاسطوري: فراس السواح، ط١، دار علاء الدين، سوريا، ١٩٨٥ ص٢٧.
١٠- ينظر: سومر اسطورة وملحمة، فاضل عبد الواحد علي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٧ ص١١٠.
١١- الجنس في العالم القديم: بول فريشاور، ترجمة فائق دحدوح، دار نينوى، الشام، ط١: ١٩٩٩ ص٦٦.
١٢- المصدر نفسه ص٦٦.
١٣- المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية ص٣٤٠.
١٤- الجنس في العالم القديم ص٦٧.
١٥- ن. م ص٦٧.
١٦- ن. م والصفحة.
١٧- ن. م ص ٦٨.